تلقي النص الموازي في النقد العربي المعاصر
المفهوم والمنظور

روفيا بوغنوط

جامعة العربي بن مهيدي * أم البواقي * الجزائر

ملخص

تتناول هذه الدراسة تلقي النص الموازي في النقد العربي المعاصر، من خلال البحث في طبيعة تعامل النقاد العرب مع المصطلح والمفهوم، وتتبّع واقع هذه الدراسات التي اتخذت النصوص الموازية متكأ معرفيا لها، كما ترصد إشكالية نقل المصطلح الأجنبي Paratexte إلى النقد العربي المعاصر، وما نتج عنه من تعدد في المقابلات للمصطلح الواحد.

Abstract

This study deals with receiving parallel texts in the Arabic Literary Criticism, through research into the nature of Arab critics' dealing with the term and the concept, and it keeps track of the nature of the studies which have used parallel texts as a starting block. It monitors the problematic transfer of the foreign term "parallel text" into Arabic criticism and the many equivalents that have come into existence for this particular term.

يندرج النص الموازي ضمن سياق عام أطلق عليه الناقد الفرنسي "جيرار جينات Gérard Genette" (المتعاليات النصية Transtexteualité) وهو الذي برز نتيجة تنميته وبحثه الدائب عن سرّ الأدبية، وعلى وجه التحديد العودة إلى طروحات وتساؤلات "رومان جاكوبسن Roman Jakobson" حول مسألة أدبية الرسالة اللفظية، فمن هذه المنطلقات جاء حديث جينات عن النص الموازي بعد التعديل الذي اقترحه لمفهوم الشعريّة، والتي انتقل بموضوعها من جامع النص Arechitextualité إلى التعالي النصي Transtextualité بل تجاوزت الشعرية عنده جامع النص؛ إذ انبسط حقلها المعرفي على خمسة أنماط أخذت ترتيبا تصاعديا وأشكال هذه المتعاليات هي[1]:

1- التناصية Intertextualité

2- النص الموازي Paratextualité

3- الميتانصية Métatextualité

4- جامع النص Architextualité

5- التعالق النصي Hypertextualité

إذ لا تُمَكِن المتعاليات النصيّة النصّ من أن يعبر طريقه «نحو البناء والدلالة إلاّ عبر اجتياز مجموعة من التغيرات والنبرات، والعتبات النصيّة التي تصاحبه وتحيط به، في صيغة شبكة معقدة، لم يعد معها مجالٌ لتصور نص أملس، يمكن أن يعبر طريقه نحو الدلالية في أصالة ونقاء مطلقين، خارج مقولات المتعاليات النصية، وما تكشف عنه من قوانين مادية تفاعلية للإنتاجية النصيّة، وقوانين تعضد النص وتكشف عن فضاء النصيّة والأدبية الممكنين»[2]، وقد استطاع النص الموازي أن يغدو مشروع كتابة بفضل ما حظي به من اهتمام على يد دراسات الشعرية الغربية الحديثة والنقد الأدبي وأبحاثها، ومع النمذجة البنيوية التي قدّمها جيرار جينت مستفيدا مما قدمه "لي وهوك leo Heok "الذي انفرد بدراسة مستفيضة لنظام العنونة ضمن كتابه علامة العنوان[3] le marque du titre، كما شكلت دراسة شارل كريفل "Charl Grivel " في كتابه (Production de L'intérét romanesque، إنتاج الإثارة الروائية)[4] تأثيرا بيناً، خصوصاً أنّ العنوان احتل حيزاً معتبراً عبر ثلاثة محاور هي: قوة العنوان ـ سيميولوجيا العنوان ـ قواعد العنوان، ينضاف إليها دراسة "أنطوان كومبانون[5] Antoine Compagnon" في كتابه (اليد الثانية أ واشتغال الاستشهاد la seconde

(le Travail de la citation ou main.، وقد بيّن عبر هذا الكتاب آليات اشتغال الاستشهاد أوالاقتباس، أما "هنري ميتران Henri Mitterand" فقد قدّم من خلال كتابه خطاب الرواية (Le Discours du roman) حديثًا عن خطاب المقدمات الروائية وقوانينها (la préface est ses lois) أبرز البعد اللّساني والإيديولوجيّ في تشكيل المقدمات؛ ذلك أن مقدّمة الرواية هي وثيقة في نظرية الرواية بالإضافة إلى أنها نوع من الخطاب[6].

ومن خلال هذا ألقت جلُّ الدّراسات الغربية بظل الفائدة على النقد العربيّ، والدراسات النصية والسيميائية، وإن كنا نرى أنها لم تأخذ وتيرة متسارعة إلا في السنوات الأخيرة، كما لم تسلم من فوضى نقل المصطلح paratexte إلى اللغة العربية وإيجاد مقابل قارٍّ له؛ إذ تنفرد الدراسات المغربية بمصطلحين هيمنا بشكل لافت هما: عتبات النص والنص الموازي.

يقابل محمد بنيس le paratexte بالنص الموازي، ويقصد به «مجموع العناصر الموجودة على حدود النص، داخله وخارجه في آن تتصل به اتصالا يجعلها تتداخل معه إلى حدٍّ تبلغ فيه درجة من تعيين استقلاليته، وتنفصل عنه انفصالا يسمح للداخل النصي كبنية وبناءً، أن يستقل وأن ينتج دلالته والإقامة على الحدود، وإشارة للعابر أمام الكتاب ـ النص ومصاحبة لمريد القراءة وإرشاد للمسالك»[7]، لا يخرج المفهوم الذي قدمه محمد بنيس عن تعريفات جيرار جينت، وعلى غراره تأتي دراسة عبد الفتاح الحجمري التي تعود إلى سنة 1996 (عتبات النص البنية والدلالة) لتجمع بين المصطلحين؛ فقد «ارتكز الحديث حول "عتبات النص" وأنماط اشتغالها، وحول النصوص الموازية، وشروط إنتاجها عبر تقديم فهم ممكن لوظائفها النصّية بحسب التقديرات التي يصبح التسليم بعد اعتبار تلك العتبات والنصوص الموازية بموجبها مجرد إجراءات وسيطة بين الداخل والخارج؛ أي بين داخل النص وخارجه»[8]، ولقد خص الحجمري "رواية محمد برادة "الضوء الهارب" والخطاب المقدماتي لعبد الفتاح كيليطو، وعتبة الحوار والاستجواب عند عبد الكبير الخطيبي" ببحث في بنية هذه العتبات ودلالتها، أفضى به إلى التساؤل لماذا الاهتمام بدراسة عتبات النص؟ ولنا هنا أن نستعير صوت الحجمري ونطرح التساؤل ذاته: لماذا هذا التهافت الكبير من قبل الدارسين العرب للإقامة عند عتبة العتبات النصية، وإلى أي مدى استطاعت هذه الدراسات أن تستبطن واقع هذه النصوص الموازية من حيث الاشتغال التنظيري

والتطبيقي في النقد الغربي والعربي؟ وهل تغني دراسة العتبة النصية عن النّص؟ وهل أدرك الدارس العربي أن غياب المقصدية كفيل بأن يُقوِّض التحليل، وأن يضع علامة تعجب أمام كثير من القراءات؟ فهذه النظريات الغربية على حد تعبير عبد العالي بوطيب، كانت لها انعكاسات سلبية على بعض التطبيقات النقدية أفقدتها العمق النظري، كما قلصت في الوقت ذاته من قيمتها الإجرائية، وهوما سعت إليه دراسته «محاولة تخليص هذه الخطابات الموازية الحساسة من بعض الغموض المحيط بتداولها»[9]، وقد أشار الناقد إلى ما يسِم هذه المقاربات من «اختلالات منهجية خطيرة تعكس وعيا نظريا تبسيطيا، إن لم يكن مغلوطا بحقيقة هذه المكونات النصية»[10].

واللافت في الاشتغال النقدي لعبد العالي بوطيب توظيف مصطلح (عتبات النص) إضافة إلى محاولته تقريب مفهوم (حماية العتبات للنص) من ذهن القارئ، لأن الأخذ به مفهوما عاما دون تحديد؛ فيه كثير من التعميم، مفضّلا بذلك الحديث عن الفارق بين (الحماية الدلالية) و(الحماية النصية)، فالمبدأ العام للعتبات هو حماية النص «لكن ينبغي تحديد طبيعة هذه الحماية ونوعيتها، والجانب أو الجوانب التي تشملها، خصوصا بعد التطورات النظرية الأخيرة التي عرفها مفهوم النص، حيث لم يعد كما كان يعتقد سابقا مجرد متوالية لغوية تتطلب مقاربة أفقية سطحية فقط»[11].

وإنّ استغلال مصطلح (العتبات النصية) ذاته أُلْفي عند عبد الجليل الأزدي في دراسته (عتبات الموت قراءة في هوامش وليمة لأعشاب البحر)، وإن كان من الواضح أن "الأزدي" يوظف مصطلحا آخر هو (هوامش النص) لتبد والعتبات «موضوعا جديرا بالاحتفال ومادة خصبة للنقد عمومًا، وللنقد الإيديولوجي بكيفية حصريّة، وذلك لسببين أوّلهما، يرتبط بأهميتها المحددة بمواقعها الإستراتيجية، وبوظائفها وأدوارها، وثانيهما يعود إلى العلاقة النوعية بالعالم وبالنّصّ الذي ينكتب على مشارفه تشكّل تخومه»[12]، وقد أشار "عبد الجليل الأزدي" في التقديم الذي أفرده لدراسة يوسف الإدريسي حول عتبات النصّ، إلى جهد عدد من الأساتذة في الجامعة المغربيّة كان لهم السبق في الاهتمام بهذا الحقل المعرفي في أواخر السبعينات، وإن كانت كما يقول: «ظلت رهينة التقاليد الشفوية، لأنها شكلت مجموعة محاضرات ألقيت على الطلبة ولم تخرج عن هذا السياق»[13]

وإذا توقفنا عند كتاب يوسف الإدريسي (عتبات النص، بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر) سنجد أنه قدّم في كتابه اشتغالا مزدوجا بين «التنظير والممارسة من جهة، والتنظير الغربي والعربي من جهة ثانية، والوعي بالاكتمال النظري في التراث العربي من جهة ثالثة، وتلك مواطن تجعل بحثه بحثا يحقق بُعْدَ نظر يسمح للقارئ بمساءلة المتن التطبيقي بهدوء»[14]، مما يضاف للناقد وعيه باشتغال هذه العلامات النصيّة «فلم يغرق في الاهتمام بالعتبات إنما جعلها مكوّنا تحليليًّا لا ينبغي تجاوزه، مع الاحتراز منها باعتبار بعضٍ من مكوّناتها ـ إن لم نقل كلهاــ مقاطع إيديولوجية بتعبير بارتي»[15]، فعتبات النص اكتسبت بعدا تداوليّا، وقوة إنجازية «وعلى الباحث أن يعي حدودها وتطبيقاتها ومرجعياتها»[16] و"الإدريسي" حسب ما قدّمه به "جمال بوطيب" قد وُفّق في الانتباه إلى هذه الازدواجية التي تلف العتبات النصية «لعل أهم ما يميز الكتاب هو سعي مؤلفه إلى خلق تآلف بين الدلاليّ، واللساني في خلق السرديات من خلال مكوّنٍ هوالعتبات. بتفاصيلها الصغرى من عناوين وعناوين داخلية، ومقتبسات ووظائفها»[17]، لقد عمل "بوطيب" على تتبع اشتغال "الإدريسي" على العتبات النصية في الخطاب السردي فأنتج بالمقابل خطابا تقديميًّا نقديًّا، وعتبة نصية عملت على الوشاية بإستراتيجية الكتابة عند "الإدريسي"، وإن كان "جمال بوطيب" قد وضعنا عبر هذا (الخطاب المقدماتي) بإزاء ثلاثة مصطلحات دفعة واحدة هي: (المتوازيات النصية)، (المناص)، (العتبة النصية)، مع الإشارة إلى أنه من بين النقاد والروائيين المهتمين بمقاربة عتبات النص والاشتغال عليها؛ حيث قدم دراسة حول عتبة العنوان في الرواية المغربية وأشار إلى أنه «من الناحية الأيق ونصية حظي العنوان الروائي باهتمام ملحوظ سواء على المستوى الإبداعي أو التحليلي، مع الخطاب الموازي، نجد أسماء وتخصصات كثيرة حاولت الإجابة عن مختلفة أسئلة هذه المتتالية»[18].

يوظف "عبد الرزاق بلال" في كتابه (مدخل إلى عتبات النص، دراسةً في مقدّمات النقد العربي القديم) مصطلحين هما (عتبات النص، النص الموازي) وقد أشار الناقد إلى فوضى المصطلح، وغياب الاتّفاق حول توحيد المصطلحات[19]، إلا أنّه لم يسلم هونفسه من فوضى المقابلات، فقد أدرج (المُقدّمات) ضمن ما يُعرف (بالمكمّلات) في إشارة إلى المصطلح الأجنبي (paratexte)، ليقوم في موضعٍ آخر بتوظيف مصطلح (النّصوص الموازية)، الذي كان يغني من البداية عن مصطلح (المكمّلات)، فالمزاوجة بين المصطلحين تشي بأن مصطلح (المكمّلات) قاصر عن تأدية المفهوم.

وقد أشارت سعدية الشّاذلي «إلى الغياب المطلق للتحليل، وللبرهنة...مما أدّى إلى عدم التمييز بين مفهومي "المقدمة" و"البيان" وإبراز الحدّ الدقيق الفاصل بينهما. هو شيء لا يأتي إلا بتفكيك النّصّين والمقارنة بينهما لما لكلٍّ منهما من خصوصيّة»[20].وكأن عبد الرزاق بلال يلغي بهذا التوظيف المترادف الفوارق بين المصطلحين (المقدمة Préface) و(البيان Le Manifeste).

ويبدوأن في التراث العربي القديم اهتمام بعتبات النص راهن هاشم الأسمهر على إظهاره من خلال الاشتغال على (عتبات المحكي القصير في التراث العربي والإسلامي)، إذ أبان أن استعمال «مادة (عتب) كان محكوما ومؤطّرا بسياق تداولي أعطى الأولوية لتعيين الموجودات المحسوسة بخاصة، ولعلّ في توظيف مفهوم العتبات الآن حينَ دراسة الظاهرة الأدبية إضافةً نوعيّةً تمليها ضرورة التأصيل، وبلورة وعيٍ نقديّ ونظري وفكري لا يقطع الصلة بالمجال التداولي الإسلامي العربي الأصيل»[21]، ويقدم "الأسمهر" عدة مصوغات لاختيار مصطلح (عتبات) من بينها[22]:

– إن المفهوم بكل حمولاته يتّسع لكل المكوّنات القبليّة والبُعديّة والبسيطة والمركبة والمستقلة والمستعلية وكل ما يحايث المتن.

– يجوز أن نوظّف مصطلح عتبات مقابلا استبداليا لمفاهيمَ من قبيل النصوص الموازية والنصوص الملحقة.

– إن تداوله في ميدان الدراسة الأدبية اليوم لا ينفي إمكان تحقق وعي ما، بعناصره وفق تصورات معينة في التراث العربيّ والإسلاميّ.

وهذه المصوغات التي قدمها الناقد لتأتي لما تلمّسه من اتّساع الحقل الدلالي المتعلّق بمادة (عتب)، مما يعني أنّ هناك تنوّعًا وتعدّدا في الإسهام التراثي الخاصّ بمجال العتبات.

ولنا أن نقول إنّ مصطلح (عتبات النص) مصطلح مجازي مغرٍ وثريٍّ يفرض وجوده بين بقية المصطلحات بقوّة، مبتعدا عما وُضع له في الأصل من كون أنّ «العتبة أعلى الباب، مقابلا للأسكفة، والجمع العتب والعتبات، وما عتبت بابه، ولا سكفته ولا تعتبه ولا تسكفه، أي لم أطأ أسكفته ولا عتبته ويكون ذلك في الدخول والخروج، وكل مرقاة من الدرج عتبة، وعتبة

الوادي: أقصاه، ويقال عتبت إلى عتبة الوادي، والأعتاب أن تعل وفوق الشيء المرتفع، والاختصار في الطريق جميعا، يقال: عتب في الحديث وأعتب أي حدث بما أحتاج إليه واختصره والأعتاب: الرجوع»[23].

ومما نتلمّسه ه وتحوّل العتبات من سياقها هذا ـ كما سبق الذكر ـ إلى سياق مجازيٍّ، ربّما يعود الأمر ــ في اعتقادنا إلى الشّحنة الدّلاليّة البرزخيّة التي يحملها مصطلح العتبات من حيث كونه فاصلا بين الدّاخل والخارج؛ أي حالة (الما ـ بين) التي يحيل إليها المصطلح، وهوما جعل النُّقّاد يأنسون إليه، إذ ينتخبه شعيب حليفي عنوانا لكتابه (هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل) ليندرج مُؤلَّفُه في «إطار البحث عن الأداة النقدية لإعادة اكتشاف البناء المرآتي والمعرفي للسرود من خلال تفكيك خطاب العتبات وعلاماتها عبر مختلف العناصر والمكونات التي ترسم أفق المتخيل وخصوصيته»[24]، كما يُوظِّف "حليفي" مصطلح (النص الموازي) مقابلا للمصطلح الأجنبي (le paratexte).

وليس ينأى جميل حمداوي عن استعمال المصطلح نفسه الّذي هو (النص الموازي) وإن لم يسقط المصطلح الثاني (عتبات النص) من قاموسه النقدي موضحا أنّ: «النص الموازي عبارة عن عتبات مباشرة وملحقات تحيط بالنص سواء من الداخل أو من الخارج، وهي تتحدث مباشرة أو غير مباشرة عن النّصّ، إذ تفسر جوانبه الغامضة وتضيئها، وتبعد عنه التباساتها، وما أُشكِل على القارئ، وتشكل العناصر الموازية في الحقيقة نصوصا مستقلة، فالخطاب المقدّماتيّ ما هو في الحقيقة إلا نصٌّ مستقلٌّ بذاته، له بنيته الخاصة، ودلالات متعددة الوظائف»[25]، غير أن هذا الاطمئنان إلى مصطلح (النص الموازي) الذي نلفيه عند جميل حمداوي، والذي تتاخمه مصطلحات أخرى لا يتوانى حمداوي عن توظيفها مِن قبيل: (عتبات النص)، (النص الموازي) ــ (الموازيات النصية)، لا نجدها عند حميد لحميداني؛ ذلك أنه (أي لحميداني) يرفع راية الحذر؛ حيث «إن مصطلح النصوص الموازية الذي وضعه جيرار جينت يتضمن إشارة تُبعِد إلى حد ما فكرة التفاعل بين العتبات والنصوص المرتبطة بها، فالموازاة تحمل معنى الانفصال، أي أنّها تُقصي فكرة الاتصال، ولذلك فاستعمالنا للمصطلح لا ينبغي أن يؤخذ بحرفيّته فالعلاقة بين العتبات، والنصوص التي تنتمي إليها هي على الأصح علاقات تفاعلية، دون أن ينفي ذلك

وجود استقلالية نسبية لكل جانب»[26]، ومن ثمّة فإنّ إشارة لحميداني ذات أهمية كبيرة فلا بد ألا يأخذ المصطلح بحرفيته، إذ إنّ النص الموازي في علاقته بالنص ــ كما وصفها جيرار جينت ــ أشبه بعلاقة «الفيّال بالفيل»[27] فكلاهما لا يمكن أن يستغني عن الآخر، مما يشي بعلاقة تبعية تفاعلية بالأساس.

وإنّ كتاب "الفوضى الممكنة" لعبد الرحيم العلام ليضعنا أمام مصطلح آخر هو الموازيات النصيّة إذ: «نعمد في هذه المرة إلى اقتراح ترجمة مصطلح (le paratexte) بالموازيات في صيغة الجمع، مثله في ذلك مثل ما تمّ اقتراحه بالنسبة لمصطلح "اللسانيات"(Linguistique) و"السرديات (Narratologie) وذلك بناء على كون مفهوم (le paratexte) يبقى عبارة عن مجموعة من العناصر (éléments) الموازية والمحيطة بالنص، ومن ثَمَّ فهي "موازيات" نصية: (اسم المؤلف، العنوان الفرعي، الميثاق، اسم السلسلة، اسم الناشر، تاريخ، النشر، المقدمة التذييل، كلمة الغلاف، الاستجوابات، الحوار، الإهداء)»[28]. ومن الطريف أن جُلَّ هذه الدراسات النقدية تعتمد في مقارباتها على ما قدمه "جيرار جينت" في كتابه عتبات (seuils)، لكن تعدد المقابلات رسم ملامح للمصطلح الأجنبي حين يُنقل إلى النقد العربي "وها هو عبد الهادي مطوي" يقدم ترسانة مصطلحية أخرى للمتعاليات الجنيتية[29]:

1- الموازي النصي La paratextualité

2- التعالي النصي Transtextualité

3- متعالٍ نصي Transtexte

4- موازٍ نصي Paratexte

5- الواصف النصي Métatextualité

6- واصف النص Métatexte

7- الجامع النصي Architextualité

8- جامع النص Architexte

9- التحويل النصي Hypertextualité

ونعتقد أن عبد الهادي مطوي قد «احتفظ بالتركيب الأصلي للغة المنطلَق، دون مراعاة خصوصيات اللغة الهدف، ومستويات اللغة الترجمية، لأن الموازاة صفة للنصّ، وليس العكس، والقاعدة النحوية تلزم الصفة اتّباع الموصوف (النص) في كل الأحوال»[30]، أما المختار حسني يستخدم مصطلح (التوازي النصي) مقابلا للمصطلح الأجنبي (le paratexte)[31]، في اشتغال لافت انبنى على ترجمة للفصل الأول من كتاب (أطراس، Palimpsestes) لجيرار جينت، وعلى الوتر نفسه نُلفي "محمد خير البقاعي" يقدم مجموعة من المقابلات للمتعاليات النصية كالتالي:[32]

1- l'intertextualité: التناصية وهي تشير إلى علاقة الوجود المشترك، بين نصٍّ أو عدة نصوص بطريقة الاستشهاد أو الإلماح.

2- le paratexte: الملحق النصي ويتكون من إشارات تكميلية مثل العنوان والمدخل والتعليقات والخطوط.

3- la Métatextualité: الماـ ورائية النصية وهي تستجيب للحالة الخاصة للنص الذي يظهر كأنه التفسير النقديّ لنصٍّ غالبا.

4- Hypertextualité: الاتساعية النصية إذا كان "ب" ينتج عن "أ" دون أن يكون هناك تفسير بوساطة تحويل الفاعل أ والطريقة.

5- Architextualité: جامعية النصية الوضع النوعي (رواية، شعر،....) لنص ما وتوجه أفق التوقع عند القارئ.

وضع "عبد الرحمن أيوب" في ترجمته لكتاب "مدخل لجامع النص" (Introduction à l'architexte) لـ "جيرار جينت" مقابلات أخرى؛ إذ جعل:

1- النظير النصي Paratextualité

2- التداخل النصي Intertextualité

3- التعالي النصي Transtextualité[33]

ومن الغريب أن يوظف عبد الرحمن أيوب (التعالي النصي) مقابلا لمصطلح آخر هو (Transcendance textuelle du texte) في الوقت نفسه، بل من اللافت أن يستعمل مصطلح (التعالي النصي) مقابلا للمصطلح (intertextualité) دون مراعاة للفارق الموجود

بين المصطلحين، فالتناص نمط من أنماط (المتعاليات النصية) وفق ما بنى عليه " جينت" طرحه، لذا فإن (التعالي النصي) أوسع من (التناص)، وبالإضافة إلى ذلك فإنّ هناك فارق طفيف بين مصطلح (التناص) ومصطلح (التداخل النصي)؛ هذا الأخير الذي يحمل قصدية بخلاف (التناص) الذي يحمل تلقائية في علاقة نص بآخر، أما ترجمة مصطلح (paratextualité) (بالنظير النصي) فجاءت على غرار مصطلح (التوازي) فكلاهما يحمل شحنة رياضيّة قد لا تفي بمعنى المصطلح الفرنسي تماما، فمصطلح التوازي (parallélisme) - وإن كان مجاله هندسيًّا- فقد استُخدم في الشعريات البنيوية للدلالة على «التشابه الذي هو عبارة عن تكرار بنيوي في بيت شعري أو في مجموعة أبيات شعرية»[34]، كما أن المصطلح قد وُظّف في طرح جاكوبسن حول الشعرية بشكل لافت، وهو يعتمد على المماثلة والتكرار والتوازن بين الأقوال «يكون أحيانا مترادفا بحيث يعيد الجزء الثاني الجزء الأول في تعابير أخرى، ويكون أحيانا متضادا، بحيث يضاد الجزء الثاني الجزءَ الأوّل، ويكون أحيانا توليفيًّا يحدّد الجزء الثاني الجزء الأول»[35] واعتمادا على هذه الدّلالة عمل كثير من النقاد على جعله مقابلا للمصطلح الأجنبي (Paratexte)، بناءً على أن الأجناس الخطابية لـ (النص الموازي) قد تقوم على أساس المماثلة والتكرير أو التضاد، وبذلك غدت نصوصا بالقوّة وبالفعل تستند إلى حركة تفاعلية فيما بينها، وبين النص الرئيس. نشير هنا إلى أن صاحب لسان العرب ابن منظور لم يأت على ذكر لفظ (التوازي) ومشتقاته؛ ذلك أنه اكتفى بإيراد مشتقات "وزن" و"وازى"، وهذا الإيراد الاشتقاقي لم يكنْ كافيًا «وازنْتُ بين الشْيْئين موازنةً و"وِزانا" بكسر الواو وهذا يوازن هذا، إذا كان على زنته أو كان محاذيه ووازنه عادله وقابله»[36]، لذا فإن المتفحّص للسان العرب لن يعثر على لفظ (التوازي)، وعلى صعيد آخر يعرف صاحبا القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان (أوزوالد ديكر ووجان ماري سشايفر) (التوازي) انطلاقا من حديثهما عن النظم بأنه يمكننا أن «نقسم وقائع النظم على ثلاثة مجموعات كبيرة: وزن، وقافية، مقطع شعري، والكل يعد جزءًا من المبدأ نفسه، هو مبدأ يسمح بتمييز الأبيات الشعرية من النثر، إن المقصود هو مبدأ التّوازي الذي يطالب بأن تظهر علاقة لعناصر السلسة الكلامية في نقطيّة لاحقة عليها»[37]، وممّا نَسْتَشفُه بالضرورة أن (التوازي) ارتبط باتجاه معرفي محدّدٍ سواء كانت الدراسات البلاغية أو الإيقاعية، مما يحدُّ من مجال توظيفه للإحالة على المصطلح الأجنبي (le paratexte).

ولقد جاء في معجم (مصطلحات نقد الرواية) "للطيف زيتوني أنّ: "(النص الموازي) مجموعة العناصر التي لا تشكل «جزءا حقيقيا من النص بل عتبة تفصل بين النصّ، وخارج النص (ما هو مكتوب)، يعبرها الداخل إلى النصّ، لا في اتجاه واحد بل في الاتجاهين، إنها مكان مميّز عمليًّا واستراتيجيًّا للتأثير في الجمهور سعيا وراء استقبال أفضلَ للنّصّ، وفهمٍ يوافق مقصد الكاتب، هذا التأثير ينبغي أن نعرف وسائله ووجوهه ونتائجه»[38] غير أنّه يقابل المتعاليات الخمس الجنيتيّة بترسانة مصطلحيّة عربية أخرى هي:

1- التناص Intertextualité

2- شرح النص Métatextualité

3- ملازمة النص Paratextualité

4- انتماء النص Architextualité

5- محاكاة النص Hypertextualité [39]

هذا ما يفضي إلى أنّنا أمام مصطلح جديد هو (ملازمة النص) مقابلا للمصطلح (Paratextualité) و(لوازم النص) مقابل (Paratexte)، والحقّ يقال إننا لم نطمئن إلى مقابلات "لطيف زيتوني" لمتعاليات "جيرار جينت"؛ ذلك أن مصطلح (لوازم النص) مصطلح فضفاض، فكلُّ ما يدخل في بنية النص ويحيط بالنص، وخارج النص بإمكاننا وصفه لازمًا من لوازم النص، فأنّى لنا أن نقول: إن العنوان من لوازم النص الشعري في حين أن عنصرا آخر ضمن البنية النصية كالإيقاع ـ مثلا ـ ليس من لوازمه، كما أن مصطلح (محاكاة النص) في اعتقادنا قاصر عن حمل مفهوم المصطلح الأجنبيّ (Hypertextualité)، وهو الذي يحيل على ذلك التّدافع الحاصل للنصوص داخل نصٍ واحدٍ، وهو أشبه بفتح عدة نوافذ داخل جهاز الحاسوب الآلي، والمصطلح استعمل في مجال الإعلاميات في أصله، أما المحاكاة؛ فهي شكل من أشكال التّعالق النّصيّ والذي لا يتوقف عند حد المحاكاة أو النسج على منوال ما «لكنه قد يتحول إلى الضد، كما نجد مثلا مع المناقضة أو الهجاء أو المعارضة»[40]، ويتمظهر من خلال توليد النص لنصٍ آخر عن طريق التحويل أو المحاكاة، فالنص المحول إليه يسعى دوما إلى محاكاة النص المتعلق به المُحَول والنسج

على منواله لأنَّه بالنسبة له بمثابة نصٍ نموذجي يمتلك سلطة يمليها عليه، وترتبط بالمحافظة على البنيات الكبرى لذلك النص النموذج من خلال ما قد يوظفه النص السابق من (آليات استشهادات واقتباسات أو تضمين..)، وهو ما يندرج تحت (النص الموازي).

وقد يسعى النص المُتعَلق إلى تحويل النص المتعلق به، وفي هذه الحالة تضيق سلطة (النص السابق) وهو ما يدخل تحت آليات (التناص)، وقد يكون التحويل الذي يطرأ على (النص السابق) قائما على النقد والتعليق، وهو ما يرتبط بمفهوم (الميتانص) أيضا، ومن ثمَّة فإنّ التعالق النصي هو عملية إنتاجية بهذا؛ إذ إن (النص اللاحق) يعيد كتابة (النص السابق)، و(النص المتسع) خلال ترجمة محمد خير البقاعي هو كل نصّ مستمد من (نص سابق) بتحويل بسيط، وبتحويل غير مباشر نقول عنه (محاكاة)[41].

وعلى مقربة من (لوازم النص) لـ "لطيف زيتوني" نُلفي "باسل المسالمة" يقابل مصطلح (Paratextualité/ Paratexuailty) بـ (ملازمة النص) في ترجمته لكتاب (نظرية التناص) لجراهام آلان (Allen Graham) وهي من «لوازم النص تحدد تلك العناصر التي تكمن على عتبة النصّ، والتي تساعد على توجيه وسيطرة، تلقي نصًّا ما من قبل قرّائه، وتتألف ملازمة النص من" لوازم ملتصقة بالنص Prétexte كالعناوين وعناوين الفصول، والمقدمات والحواشي، "ولوازم منفصلة عن النص épi texte مثل المقابلات والتصريحات العلنية»[42]، وإن كانت السابقة épi تعني "فوق" أو" على ممّا يفضي إلى أن المصطلح الأقرب هو (فوق نصي) على (لوازم النص)، في حين أن السابقة pré تدلُّ على ما (يحيط بـ) فيكون المصطلح هو "محيط النّصّ".

يقدم "عبد العزيز شبيل" لمتعاليات "جيرار جينت" مجموعة من المقابلات في اشتغال أسبقٍ يعود إلى سنة 1984 هي:

1- التناص: Intrtextualité

2- النصية البعدية: Métatextualité

3- المصاحبة النصية: Paratextualité

4- النصية الجامعة: Architextualité

5- اللحوق النصي: Hypertextualité[43]

وينضاف إلى مجموع المقابلات السابقة مصطلح آخر يندرج ضمن المصطلحات المجازية وضعه "محمد عناني" هو مصطلح (أهداب النص)؛ أي «الأعتاب أو المداخل والحدود، ويبد وهذا المصطلح مبنيًّا على نموذج (Paralangage) فالمظاهر شبه اللغوية هي المظاهر المصاحبة للألفاظ المنطوقة مثل الشهقات والزفرات، ونبرات الصوت، وتغيرات الوجه، وحركات اليدين، والجسم وما إليها»[44].

ومع هذا البذخ في المقابلات العربية للمصطلح الأجنبي الواحد (Paratexte) والتي تسعى إلى أن تفي الشحنة المفهوماتية لمصطلح "جيرار جينت" حقها، نجد أن أكثرها إثارة للجدل هو مصطلح (مناص) الذي يلتبس نُطقه بين المُناص بضم الميم أو المَناص بفتحها، وعبد الواسع الحميري يذهب بالمصطلح مذهبا آخر يبعده عن مقابله الغربي (Le Paratexte) ويجعله أقرب إلى التناص (Intertexte) فالمناص بالنسبة له ـ دون أن يحدد بالضم أم بالفتح ـ فهو «عبارة عن ملاذ الناص النائص وموضع إناصة ومناوصة»[45]، بمعنى حالة الاستنفار التي تنتاب المبدع لكي يتعالى، ويسم وبالنص فتتحول الرموز والأساطير، والفكر العرفاني على حد قوله إلى مناص؛ حيث إنّ «الكاتب / القارئ قد ينوص على الرمز والأسطورة بوصفهما إمكانيّةَ انفتاح على الداخل والخارج، أو بوصفهما نقطة التقاء بين الباطن والظاهر، المرئي واللامرئي، فهما إذن مركز إشعاع حركي ينتشر في الاتجاهات جميعا»[46].

يتضح جليا أن الحميري لم يرد (Le Paratexte) وإنما أراد التناص (Intertexte) كما أنه اكتفى بدلالة الرَفْعِ والسُّمُ والتي يحمله معنى المناص دون أن تكون له علاقة بما أراده "جيرار جينت"، وعلى خلاف ذلك كان منطلق "عبد الحق بلعابد" من كتاب "جيرار جينت" (عتبات من النص إلى المناص) إن جاز لنا وصفها وقد جاءت في شكل ترجمة للكتاب، وآنس فيه الناقد إلى مصطلح (المُناص)، وللإشارة فإن "عبد الحق بلعابد" لم يقحمنا في متاهات شائكة كصنيع عبد الواسع الحميري" حول (الإناصة) و(المناوصة)، وقد استوقفنا (الخطاب المقدماتي) الذي خطه "سعيد يقطين" ـ حسب اطلاعنا ـ صاحب الفضل والسبق في استحداث المصطلح؛ إذ تعود دراسات يقطين إلى سنوات الثمانينيات، وقد طرح "يقطين" تساؤلا يوحي بأن هناك فارقًا وتداخلاً بين (المناصات) و(العتبات)، فه ولا يستعملهما بصيغة الترادف، وإن كان كلاهما مقابلاً لمصطلح (Paratexte)، بتدقيق أكثر، لنا أن نقول: إن العتبات منطقة مترددة (Zone indécise)،

والنصوص الموازية (éléments) مكونات أو عناصر لهذه المنطقة النصيّة، وتوظيف "سعيد يقطين" لا يسلم هو الآخر من الغموض نتيجة تداخل (المَناص) مع (التناص)؛ إذ يضع التفاعل النصي مقابلا (Transtextualité) مفضّلا إيَّاه على (التعالي النصي) الذي يحمل حسب اعتقاده دلالات بعيدة «فيما أن النص ينتج ضمن بنية نصيّة سابقة فه ويتعالق بها، ويتفاعل معها تحويلا أو تضمينا أو خرقا، وبمختلف الأشكال التي تتم بها هذه التفاعلات.

وعلينا من خلال التحليل أن نبحث في أنواع هذه التفاعلات من جهة وفي أشكال اشتغالها داخل النص (البعد الجمالي) وأبعادها الدلالية البعد السوسيو-نصّي، وبهذا نتجاوز عمل السرديين وعمل السوسيو-نصي (زيما) في بحثهم عن التناص أو التعاليات النصية»[47] أما (المناصة) حسب تحديده فهي «البنية النصيّة التي تشترك وبنيةً نصيّةً أصلية في مقام وسياق معينين، وتجاورِها محافظة على بنيتها كاملة ومستقلة، وهذه البنية النصية قد تكون شعرا أو نثرا وقد تنتمي إلى خطابات عديدة كما أنها تأتي هامشا أو تعليقا على مقطع سردي أو حوار وما شابه»[48]، ويوضح "سعيد يقطين" أنه يستعمل المناصة بوصفها تفاعلا نصيا داخليا ويستثني المناصات الخارجية؛ أي كل ما يدخل في نطاق (المقدمة والذيول والملاحق وكلمات الناشر والكلمات على ظهر الغلاف)، مما يقضي على انتماءها إلى (عتبات النص) وهي هنا ستكون مختلفة عن المناص الذي «هو عملية التفاعل ذاتها وطرفاها الرئيسيان هما النص والمناص (paratexte)، وتحدد العلاقة بينهما من خلال مجيء المناص كبنية نصية مستقلة ومتكاملة بذاتها، وهي تأتي مجاورة لبينة النص الأصلي كشاهد تربط بينهما نقطتا التفسير أو شغلهما لفضاء واحد في الصفحة عن طريق التجاور»[49]، ليعود في سياق آخر ويقول «المناص بغض النظر عن العتبات النصية لا يمكن أن يكون كليا، إنه بنية نصية جزئية»[50].

وبذلك وبناء على كلام يقطين يوجد (مناص) وتوجد (عتبات النص) أو (مناص خارجي)؛ وهو ما يقضي أن نتفق مع عبد الحق بلعابد في القول إنّ (المناص الخارجي) الذي يتحدث عنه "سعيد يقطين" هو (النص الفوقي)، وهو القسم الثاني من أقسام النص الموازي، كما نشير إلى أنه قد ترجمه بـ (le paratexte) بالمناصاصات، غير أنه عَدَل عن المصطلح لمراعاة الميزان الصرفي وقابل المصطلح بـ (المناص). وعلى الرغم من استقرار ترجمته المصطلحية على مصطلح (المناص) المقابل (Le Paratexte) والمناصة كمقابل (La Paratextulité) إلا أن

الغموض يَلُفُ اقتراحات "سعيد يقطين" لأننا كثيرا ما نجد عنده تداخلا بين (التناص) و(التعالي النصي) الذي يصطلح عليه بالتفاعل النصي ـ كما سبق وأشرنا ـ وهذا «التبلبل في التداول المصطلحي على مستوى الاشتغال النقدي لـ "سعيد يقطين" سيظهر في كتابه (الرواية والتراث السردي) بجلاء؛ حيث يسترجع تقسيمات جينيت للمتعاليات النصية معتمدا كتاب عتبات، وباقي الكتب الأخرى له، إلا أنه وقع في خلط مفاهيمي بتعريفه المناص بما عرف به المناصية»[51]، والمناصية هي التحقق النصي؛ أي التحقّق النصي للمناص، مثلها مثل النصية التي يقوم عليها نص ما، بالإضافة إلى ذلك يقترح سعيد يقطين مقابلة (Palimpsestes) بألواح هي الكلمة التي ألفينا غيره من النقاد يترجمها بـ (طروس وتطريسات)، فهو يقول: «بما أن للكلمة بعدا دينيا، والمراد بها بروز بقايا نص ممح وفي نص جديد كُتب فوق النص الممحو، يبد ولي أن كلمة "ألواح" تحمل البعد نفسه والمعنى المراد "فقد سمي اللوح لوحا لأنّ الكتابة الممحوة تظل تلوح منه (تظهر)»[52]، ومع ذلك لا ننفي أنَّ مصطلح (المُناص) و(المناصية) و(المناصصات) مصطلحات فيها نوع من الضبابية.إلا أن "طاهر روابنية"[53] لا يتردد في أن يتخذ المناصصات مقابلا لـ La Paratextualité، ونشير إلى أنه لا يجوز فك الإدغام، ويماثله في ذلك "عبد الحق بلعابد" في اشتغالٍ يقتفي أثر "سعيد يقطين".

هذا الاضطراب المصطلحي نجده أيضا عند "عبد الملك أشهبون"[54]، فهو إن كان يقابل (Paratexte) بالنص الموازي فه ويضع لمصطلح (Prétexte) مقابلا (النص الحاشية) ولمصطلح (épi texte) مقابلا هو (النص الملحق) الذي ألفينا "محمد خير البقاعي" يضعه مقابلا لمصطلح (Paratexte)، كما يستعمل "عبد الملك أشهبون" مصطلحا آخر وهو (النصوص المُحاذية)؛ وهو توظيف كان قد سبقه إليه "رشيد بنحدو" في ترجمته لكتاب "برنار فاليط Bernard valette" (النص الروائي، تقنيات ومناهج Le Roman Initiation aux méthodes et aux techniques modernes d'analyse littéraire) وقدم في ظل ذلك مقابلاته:

1- نص محاذٍ: le paratexte

2- نصيّة محاذية : la paratextualité

3- نص واصف :Métatexte

4- نصيّة واصفة :Métatextualité

5- نص فوقي : Hypertexte

6- نصّية فوقية : Hypertextualité

7- نصيّة شاملة : Architextualité

8- نص تحتي: Hypotexte[55]

ويبدو أن رشيد بن حدو يقدم مقابلات وتوظيفات جديدة، فهو يجعل النص الفوقي مقابلا لـ (hypertexte) الذي استعمل بالأساس للدلالة على مصطلح Prétexte.

وضمن ترجمة "محمد يحياتن" لكتاب "دومينك مانغينو" (المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب) يصادفنا مصطلح النص المصاحب (للمتن) مقابلا للمصطلح الفرنسي (Le paratexte)؛ حيث ارتبطت العناية بظاهرة النص المصاحب و«بتطور الأفاق التداولية في تحليل الخطاب، لا يمكننا فصل النص عن الإطار التبليغي حيث يوطن حضوره، فليس هناك تأويل ممكن إلا من خلال ارتباطه بهذا الإطار الذي يتغير في الزمان والمكان»[56]، وإنّه يضع بعد ذلك مقابلات لكل من المصطلحات المرتبطة بالنص المصاحب، (auctorial) يقابله بالنص المصاحب المؤلفي، éditorial بالنص المصاحب النشريّ، ويصطنع لمصطلح (péri texte) مقابلا هو النص الحاف، ومصطلح (épi texte) بالنص الشارد، والحقيقة أنه في حالة النص المصاحب المؤلِفي تأتي العلامات المصاحبة للنص بإيعاز من المؤلف نفسه، ومع المصاحب النشري تقوى سلطة الناشر فيتدخل في تشكيل هذه العلامات (ظهر الغلاف، قائمة الكتب المنشورة، حقوق التأليف)، غير أن مصطلح (النص الشارد) مصطلح مُربك للقارئ فلن يستوي لديه المفهوم المقصود بيسرٍ؛ إذ جاء في لسان العرب شَرد البعيرُ والدابة يشرد شردًا وشِرادًا وشُرودًا: نَفر، فهو شاردٌ والجمع شرَدٌ، وشَرَدَ الجمل شُرُدًا، فهو شاردٌ، فإذا كان مُشَرَّدا فهو شريد طريد نقول: أشردتُهُ إذا جعلته شريدا طريدا لا يؤوي[57] بالضرورة فإن لفظ (الشارِد) سيغد ومقيدا بشكل كبير بدلالة النفور ولا نعتقد أن هذه النصوص (المُسَّودات، المذكرات، الحوارات، القراءات النقدية، ...) وإن كان فضاؤها خارج المتن الرئيس إلا أنها تابعة غير نافرة منه. ورغم ذلك يبقى لفظ (الشارد) أخف وقعًا من المقابل الذي وضعه "حمادي صمود" و"عبد القادر المهيري"؛ إذ انتخبا (العلوق النصي)[58].

بناءً على ذلك فنحن أمام مقابلات كثيرة توسع دائرة الإرباك، بل إن وتيرة الإرباك تتزايد أكثر حين نُلفي "عبد الحميد بورايو" يقابل مصطلح (intertexte)بـ (المُناص) يقول «ليس "المناص" هو الذي يعني جينيت ولكن العلاقة التي تقوم بين النص ومناصه، أو باستعمال مصطلحات طروس النص اللاحق وسابقه»[59]، إنّ بوراي ويعود في موضع آخر من الكتاب إلى مقابلة المصطلح نفسه بالمُتناص[60] مقابلات "عبد الحميد بورايو" لمتعاليات "جيرار جينت" هي[61]:

1- التناص: Intertextualité

2- الموازي النصي: Paratextualité

3- النصية الواصفة: Métatextualité

4- جامع النص: Architextualité

5- الإلحاق النصي، التعلّق النصّي: Hypertextualité

6- التعاليات النصية: Transtextualité

7- طّروس: Palimpsestes

الصنيع ذاته عند حسين خمري الذي وظف المُناص مقابلا لمصطلح (Intertexte) في قوله «من هنا تتجلى قيمة المُناص لأنه من جهة يساعد على مقروئية النص، لأن النص المسطح، العاري من الآثار الثقافية هو نص جامد لا يستطيع الانتقال داخل المنظومة الثقافية»[62].

بصورة انفرادية (تعود إلى سنة 1993) يواجهنا "قاسم المقداد" في ترجمته لكتاب "جان إيف تادييه Jean Yves Tadie" (La Critique Littéraire au XXe Siècle)، (النقد الأدبي في القرن العشرين) بمصطلحات لا نكاد نعثر ـ حسب اطلاعنا ـ على توظيف سابقٍ أو لاحقٍ لها على وجه التحديد مصطلحات (الترافق، العلاقة النقدية، النصيّة الأولية، النصيّة الضامة)، ومقابلاته المصطلحية للمتعاليات النصية هي:

1- طروس: Palimpsestes

2- التناص: Intertextualité

3- الترافق: la paratextualité

4- العلاقة النقدية: Métatextualité

5- النصيّة الأولية: Architextualité

6- النصيّة الضامة: Hypertextualité [63]

أما "خالد بلقاسم" فلم يجد في مصطلح (النص الموازي) أو (المُناص) مسعفا نقديا اصطلاحيا وعلى حد قوله فإنّ «مفهوم التوازي لا يتضمن التداخل والتعارض الذي نص عليهما هيلس، ثم إن تناول جينت للمفهوم ضمن قراءته للعتبات (Seuils) يرجح هذا الزعم، فالعتبة واصل بين الداخل والخارج فيما هي فاصل بينهما من هنا يكون مصطلح البرزخ بمعنى ابن عربي مسعفا في إعادة ترجمة المصطلح»[64]، وبهذا ينضاف مصطلح (البرزخ) لبقية المقابلات / الترجمات العربية؛ وهو ما ارتآه تماشيا مع الخطاب الصوفي، ربما يعود الأمر إلى أن مصطلح (البرزخ) فضلا على أنه مصطلح مجازي فإنه يحمل دلالة الفصل بين الداخل والخارج بصورة ابلغ؛ أي الحاجز بين شيئين لا نح والداخل ولا إلى الخارج. وهو ما نص عليه نص عليه ج هيليس ميلر "J.Hillis miller" في تحديده لمعنى البادئة "Para"، إذ يرى بأنها «معارضة تُعيّن في الآن ذاته القرب والبعد، التشابه والاختلاف، الجوانية والبرانية (...) وهي شيء متوازٍ لا ينتمي في الآن ذاته لجانبي الحد الذي يفصل الداخل عن الخارج فحسب إنه أيضا الحد ذاته، الشاشة التي تقيم غشاءً شفافا بين الداخل والخارج، إنها تحقق امتزاجها بترك الخارج يَدْخُلُ والداخل يَخْرُجُ، إنها تفصلهما وتصلهما»[65].

يكتسب مصطلح النص الموازي عند "رشيد يحياوي" مفهوما جديدا اصطلح عليه (النص الضمني المركب) ويقصد به تلك «العناصر التي نجدها متفرقة في الديوان والتي يمكن جمعها، ونحن نلح على عملية الجمع هذه، حتى يبقى مفهومنا للنص المذكور مختلفا عن الذي يقول به جينت في حديثه عن النص الموازي، وبذلك يتجلى لنا أن رشيد يحياوي لم يكتف بهذه النصوص في وضعها المتفرق وإنما سعى إلى أن يخلق منها نصا واحدا فالإهداءات إذا ركبت يمكن أن تهيئ لنا نصا للدراسة»[66].

وقد أضاف "رشيد يحياوي" إلى (النص الضمني المركب) (الفضاء النصي) بوصفه «مجموع الكلمات والجمل والمقاطع التي يبرزها الشاعر إبرازا خاصا ككتابتها بأحرف سميكة أو كبيرة مقارنة مع جاراتها، وهذا ما يسمّى عند بعض الدارسين بالنبر البصري فإعادة تجميع هذه الوحدات يعني أننا نحقق شكلا تجتمع فيه وحدات توخّى الشاعر منها مقاصد خاصة تميزها عن غيرها، فيكون النص الضمني المركب بذلك شبكة لتضافر مقاصد عديدة»[67]، ويؤكد "يحياوي" على أنه لا يدرس مكونات التدوين بوصفها عتبات ومناصات بنفس الحصر الدقيق لدى جينت ولكن باعتبارها مكونات لصيرورة فضائية[68]، وإن كنا نرى أنها جهود طيبة من "رشيد يحياوي" لتوسيع فضاء النصّ، وضمان قراءة مختلفة لهذه النصوص قوامها العلاقة بين نص أصلي أول ونص ثانٍ موازٍ له.

من اللافت أن نجد "محمد فكري الجزار" يشير إلى دلالة (الموازاة) التي تكتنف عتبة العنونة رغم أنه لم يستعمل مصطلح (النص الموازي) ولم يشر إلى عتبات "جيرار جينت" ولا إلى هذا الحقل المعرفي في كتابه (العنوان سيميوطيقا الاتصال الأدبي)؛ إذ يعرف العنوان بأنه «إشارات حرة ذات قابلية فائقة لدمج سواها في فضائها، والاندماج في فضاء سواها فيما عبرنا عنه بالتناص هذا الذي يمنح – وحدة – العنوان قدرة على اختراق وقائعيته اللغوية لتشكل نصا مكتملا وموازية لنصية العمل الذي يعنونه، ويحيل العنوان إلى لغة موازية له في العمل»[69] لقد تعامل "محمد فكري الجزار" مع العنوان بوصفه نصا موازيا، وربما هذا ما يزيد من رصيد مصطلح (النص الموازي) من حيث التداول والاستعمال، وقد أشار "الجزار" في نهاية مقاربته للعنوان إلى دراسة سابقة تعود إلى سنوات 1988 لـ (محمد عويس)، ومن اللافت في هذه الدراسة أنها تعد من المقاربات الأولى التي أفردت للعنوان في أدبنا العربي كما أن الناقد اعتبرها من الدراسات السباقة حتى في النقد الغربي؛ إذ لم يتسن له الحصول إلا على عدد قليل جدا من المقالات التي تخدم فكرته و« تناولت العنوان في الآداب الغربية مما يدلّ على أن الفكرة لم تأخذ نصيبها»[70] من الدراسة والبحث ومقاربة محمد عويس للعنوان هي من الدراسات المتزامنة مع ظهور الطروحات المهتمة بعتبات النص، ذلك أن كتاب "جيرار جينت" يعود إلى سنة 1987 وإن كان الرجل قد طرح الفكرة لأول مرة في كتابه (مدخل لجامع النص) سنة 1979، ثم أعاد الحديث عنها في كتابه أطراس palimpsestes سنة 1982- وقبل دراسة "جيرا جينت" يأتي "لي وهوك" في كتابه (علامة العنوان) الذي يعود إلى سنة 1981، بهذا فإن

ما قدمه (محمد عويس) يعد من الطروحات الأولى عربيا، تلك التي ساهمت في حركة هذا الحقل المعرفي، ولعل في ذلك ما يشفع له ـ ربما ـ عدم اطلاعه على دراسة هؤلاء النقاد، إلا أن الغائب في هذه الدراسة هو عدم اتّباع منهج محددٍ إذ بدا لنا أنها اكتفت بالتحليل الوصفي دون الاتكاء على آليات قرائية تأويلية.

وفي الختام لنا أن نقول:

لقد شكلت عتبات النص منفذا قرائيا مغريا؛ حيث تنفرد كثير من الدراسات العربية بقوة الاتكاء النقدي على المتعاليات النصية في مقاربة المتون الإبداعية، وهوما تجلى ـ على سبيل التمثيل ـ مع الدراسات التي أُفردت لروايات واسيني الأعرج، والتي من بينها دراسة "فوزي الزمرلي" (شعرية الرواية العربية بحث في أشكال تأصيل الرواية العربية ودلالاتها)، و"كمال الرياحي" (الكتابة الروائية عند واسيني الأعرج)[71]، و"جمال بوطيب" (الاستعارة الجسدية الذات والآخر في الرواية الجزائرية أعمال واسيني الأعرج متنا[72]، بل إن واسيني الأعرج نفسه اتخذ النصوص الموازية سندا قرائيا في مقاربته لـ(مدارات الشرق ـ لنبيل سليمان)، وبذلك فما «الحشود النصية المصاحبة الكبيرة لهذه الأعمال، بمختلف أنواعها وأحجامها، سوى دليل صارخ على رغبة هؤلاء الأدباء الملحة في توضيح توجهاتهم الإبداعية الجديدة»[73].

لقد كانت شعرية "جيرار جينت " هي الأنسب بالضرورة؛ ذلك أنها «منفتحة على جلّ علاقات التعالي النصي المناسبة لفحص صلات الروايات التأصيلية بغيرها من النصوص، واستخلاص القوانين الأجناسية التي خضعت لها، وضبط أشكالها، نظرا إلى قوة انتماء تلك الروايات إلى الأدب من الدرجة الثانية، وتنوع علاقاتها بالتراث وبالجنس الروائي الغربي»[74].

أما على صعيد مقاربة عتبات النص في الشعر العربي المعاصر، فقد ظهرت بعض الدراسات التي سعت إلى مقاربة (النصوص الموازية في الشعر العربي المعاصر)، من بينها دراسة (نبيل منصر) بعنوان (الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة)؛ حيث ارتضى «مواجهة الشعر العربي المعاصر من مكان النص الموازي .. »[75]، بالإضافة إلى دراسة "خالد حسين حسين" بعنوان (في نظرية العنوان مقاربة تأويلية في شؤون العتبة النصية)[76] وإن كانت الدراسة زاوجت بين مقاربة المتون السردية، والشعرية والمسرحية، ضمن كتابٍ واحد مما شكل عبئًا قرائيا على القارئ،

ينضاف إلى تلك الدراسات مقاربة سيميائية خصها الناقد السيميائي "أحمد يوسف" لـ (عتبة الإهداء في الشعر الجزائري) وقد انطلق في تعامله مع الإهداء على أنه «خطاب تتمفصل داخل ملفوظاته البنى اللسانية مع البنى الذّهنية وعليه فقد يصبح الإهداء ملفوظا ـ مهما طال أو قصر ـ مستقلا بعباراته المقتصدة في الإشارة إلى المهدى إليه»[77]، ويقدم أحمد يوسف في دراسته، مجموعة من المصطلحات هي[78]:

1- التطريسات مقابلا لـ (Palimpsestes)

2- النصية المتعالية مقابلا لـ (Transtextualité)

3- محيط النص مقابلا لـ (Paratexte)

4- النصية الواصفة مقابلا لـ Métatextualité)

كما يرى أنّ استعارة مصطلح (العتبة) «لهذا الضرب من النص على جمالها، تحتاج إلى تحديد دقيق، إنه مازال يلتبسه الغموض؛ لأن المحيط (para) اقرب إلى الدقة من (Seuils)، وإن كان يوحي لنا مفهوم المحيط بما هو هامشيّ، ومقابل لما هو مركزي بخلاف ما هو عليه محيط النص من أهمية»[79] ولنا أن نقول إن الإشكال الذي تُوقِعُنا فيه مقابلات (أحمد يوسف)، يتمثل في المتهات الاصطلاحية التي تنشأ في ذهن القارئ في ظل هذا السيل الاصطلاحي العربي لمصطلح (le paratexte)، خصوصا أننا ألفينا تداولا لمصطلح النص المحيط أو محيط النص مقابلا للمصطلح الأجنبي (péri texte)؛ أي القسم الثاني من أقسام (le paratexte)، بمعنى آخر إن النص الموازي (paratexte)= النص المحيطprétexte + النص الفوقي épitexte على الأقل كان ذلك ما ترسخ في ذهن القارئ.

نشير إلى أن أحمد يوسف لم يأت على ذكر هذه التقسيمات أو المقابلات، واكتفى بالإشارة إلى المصطلحات الأربعة السابقة. بالإضافة إلى أننا أثناء مقاربة حقل النصوص الموازية كنا قد استبعدنا مجموعة من القراءات التي تتخذ (عتبات النص) مجرد مفتتح لمقاربة النص دون الإلمام بآليات وطرائق اشتغال هذه النصوص الموازية؛ أي أنها لم تقارب العتبات لذاتها وفي علاقتها بنصها إنما اكتفت بمقاربتها بلغة وصفية، يكاد يغيب فيها إجراء منهجي بيّن.

ونخلص إلى أن الدراسات العربية التي رصدت لهذا الحقل المعرفي قد انتخبت عدة مقابلات للمصطلح الأجنبي Le Paratexte ، مما يشي بغياب الاستقرار في توظيف مصطلح واحدٍ. وباختصار مفيد فإن النقاد العرب وإن واجهوا المصطلح الأجنبي بعدة مقابلات عربية، فإن مفهومه لم يخرج عما وضع له في لغته الأصل والمشروع "الجنيتي" تحديدا، كما أننا ألفينا اهتماماً بهذا الحقل المعرفي بوصفه عناصر نظرية في التراث العربي القديم؛ لذلك نثمن جهد الحفر في التراث، والوقوف عند تمثلات النقاد العرب القدامى لهذه العلامات النصيّة، وهو إفضاء آخر يغري بالدراسة والمقاربة.

مراجع الدراسة:

(1) – جيرار جينت: مدخل لجامع النص، ترجمة عبد الرحمن أيوب، ط2، دار توبقال، المغرب، 1986، ص91–92.

(2) – نبيل منصر: الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ن ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص20.

(3) – Leo h. Hoek: La marque du titre Dispositifs sémiotiques D' une pratique textuelle ,mouton éditeur, paris, 1981.

(4) – Charles Grivel: Production de L'interet Romanesque, Un état du texte (1870-1880), un essai de constitution de sa théorie, La Haye-Paris, Mouton, 1973, p 159, 166, 187.

(5) –Antoine compagnon: la seconde main. ou le Travail de la citation, édition du Seuil, paris, 1979.

(6)- Henri mitterand: Les Discours du roman. Puf écriture. paris.1986. p166/175.

(7)- محمد بنيس: الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، التقليدية، ج1، ط2، توبقال، الدار البيضاء، 1996، ص 76.

(8) – عبد الفتاح الحجمري: عتبات النص البنية والدلالة، ط1، منشورات الرابطة، المغرب، 1996، ص7.

(9)- عبد العالي بوطيب: العتبات النصية بين الوعي النظري والمقاربة النقدية، ضمن مجلة علامات في النقد تصدر عن النادي الأدبي بجدة، ج71، مج18، السعودية، نوفمبر 2010، ص 154.

(10) - المرجع نفسه: الصفة نفسها.

(11)- المرجع نفسه: ص 159.

(12)- عبد الجليل الأزدي: عتبات الموت، قراءة في هوامش وليمة لأعشاب البحر، مجلة فضاءات مستقبلية، عدد2، السنة الأولى، مطبعة ليلى، المغرب، 1996، ص 37.

(13) – يوسف الإدريسي: عتبات النص بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، ط1، منشورات مقاربات، المغرب، 2008، مقدمة الكتاب.

(14)- المرجع نفسه: ص 11

(15)- المرجع نفسه: ص 12

(16) - المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

(17) – المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

(18)- جمال بوطيب: العُنوان في الرواية المغربية حداثة النص ــ حداثة محيطه، ضمن الرواية المغربية، أسئلة الحداثة، ط1 مختبر السرديات كلية الآداب بنمسيك، وزارة الثقافة، المغرب، 1996، ص 193.

(19) – عبد الرزاق بلال: مدخل إلى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، بيروت، 2000.

(20) - سعدية الشاذلي: مقاربة الخطاب المقدماتي الروائي "مقدمة حديث عيسى بن هشام" وإنشاء الروايات العربية، سلسلة الرسائل والأطروحات، جامعة الحسن الثاني ـ عين الشق، الدار البيضاء، مطبعة المعرف الجديدة، المغرب، 1998، ص 28.

(21) - هاشم الأسمهر: عتبات المحكي القصير في التراث العربي والإسلامي الأخبار والكرامات والطرف، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2008، ص 29.

(22)- المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

(23) – أبو القاسم إسماعيل: المحيط في اللغة، تحقيق محمد حسن آيسن، ج1، ط1، مطبعة المعارف، بغداد، 1994، ص 447/445.

(24) – شعيب حليفي: هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، ط1، دار الثقافة للنشر، المغرب، 2005، ص 05. ينظر شعيب حليفي: النص الموازي للرواية، استراتيجية العنوان، مجلة الكرمل، عدد 46، مؤسسة الكرمل، فلسطين / باريس، أكتوبر 1992، ص 83 إلى 101.

(25) – جميل حمداوي: لماذا النص الموازي، مجلة الكرمل، عدد 88، مؤسسة الكرمل الثقافية، باريس، 2006، ص 220. ينظر جميل حمداوي: سميوطيقا العنونة، مجلة عالم الفكر، عدد 03/ مجلد 25، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999، ص 79 إلى 112.

(26) – حميد لحميداني: عتبات النص الأدبي (بحث نظري)، مجلة علامات في النقد، مج 18، عدد 46، تصدر عن النادي الأدبي بجدة، 2003، ص 23.

(27) - Gérard Génette: seuils, ed seuil, paris 1987, p37.

le texte son paratexte est parfois comme un éléphant sans cornac puissance infirme paratexte son texte est un cornac sans éléphant

(28) – عبد الرحيم العلام: الفوضى الممكنة، دراسات في السرد العربي الحديث، ط1، دار الثقافة، المغرب، 2001، ص 17.

(29) – عبد الهادي مطوي شعرية العُنوان في الساق على الساق في ما هو الفرياق، مجلة عالم الفكر مجلد 28، ع 01، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، 1999

(30)- عبد الحق بلعابد: قصد رفع قلق المصطلح، مجلة علامات في النقد، مجلد 15، جزء 58، النادي الأدبي جدة، السعودية، 2005، ص 192.

(31)- جيرار جينت: أطراس الأدب من الدرجة الثانية، من التناص إلى الأطراس، ترجمة المختار حسني، مجلة فكر ونقد، عدد 16، فبراير 1999، متاح على موقع المجلة الالكتروني:

www.fikrwanakd.aljabriabed.net/indexl.htm

(32)- جيرار جينت: طروس الأدب على الأدب، ترجمة محمد خير البقاعي ضمن كتاب دراسات النص والتناصية، ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب /دمشق، 1998، ص 113.

(33) - جيرار جينت: مدخل إلى جامع النص، ترجمة عبد الرحمن أيوب، ط2، دار توبقال، المغرب، 1، ص

(34) - محمد مفتاح: التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت /الدار البيضاء، 1996، ص 97

(35) - المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

(36)- لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، عربي، انجليزي، فرنسي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون / دار النهار، بيروت /لبنان، 2002، ص 140.

(37) - المرجع نفسه: ص 64.

(38) - جيرار جينت: مدخل لجامع النص، ص 24.

(39) - ابن منظور : لسان العرب، المجلد الخامس عشر، دار الهلال، بيروت، ص 206.

(40) - أوزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياشي، طبعة منقحة، ط3 المركز الثقافي العربي، بيروت، 2013، ص 593.

(41)- مجموعة من المؤلفين: آفاق التناصية، ترجمة محمد خير البقاعي، ط1، دار جداول، بيروت، 2013، ص 173.

(42) - جراهام آلان: نظرية التناص، ترجمة باسل المسالمة، ط1، دار التكوين، سوريا، 2011، ص 142.

(43) - عبد العزيز شبيل: نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري جلسة الحضور والغياب، ط1، دار محمد علي الحامي، تونس، 1984، ص 69.

(44) - محمد عناني: معجم المصطلحات الأدبية، مكتبة لينان ناشرون والشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، بيروت /القاهرة، 1984، ص 69.

(45)- عبد الواسع الحميري: في الطريق إلى النص، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2008، ص 147.

(46) - المرجع نفسه: ص نفسها.

(47)- سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي النص والسياق، المركز الثقافي العربي، المغرب، / بيروت، 1989، ص 98.

(48) - المرجع نفسه: ص 99.

(49) - المرجع نفسه: ص 49.

(50)- المرجع نفسه: ص 111.

(51)- عبد الحق بلعابد: قصد رفع قلق المصطلح، مجلة علامات في النقد، مجلد 15، جزء 58، تصدر عن النادي الأدبي بجدة، السعودية، 2005، ص 192.

(52) - سعيد يقطين: السرديات والتحليل السردي الشكل والدلالة، ط1، المركز الثقافي العربي 2013، بيروت /الدار البيضاء ص 60.

(53) - طاهر روابنية: شعرية الدال في بنية الاستهلال، أعمال ملتقى السيميائية والنص الأدبي، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، ماي 1995، ص 141.ينظر النص الأدبي وشعرية المناصصة، مجلة اللغة والأدب، أعمال ملتقى علم النص، عدد 12، معهد اللغة العربية وآدابها، الجزائر، 1997، ص 359.

(54)- عبد الملك اشهبون: عتبات الكتابة في الرواية العربية، ط1، دار الحوار، سوريا، 2009، ص 29/28.

(55) - برنار فاليط: النص الروائي، تقنيات ومناهج، ترجمة رشيد بنحدو المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1999، ص 146.

(56) - دومنيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، ط1، الدار العربية ناشرون ومنشورات الاختلاف، بيروت/الجزائر، 2008، ص 91.

(57) - ابن منظور: لسان العرب، مادة شَرَدَ.

(58)- باتريك شارودو، دومنيك مانغنو: معجم تحليل الخطاب، ط1، ترجمة عبد القادر المهيري، حمادي صمود، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس 2008، ص 408.

(59) - نتالي بيقي غروس: مدخل إلى التناص، ترجمة عبد الحميد بورايو، ط1، دار نينوى، سوريا، 2012، ص 19.

(60) - المرجع نفسه: ص 39.

(61)- جوزيف بيزا كامبروني: وظائف العنوان، ضمن الكشف عن المعنى في النص السردي، (السرديات والسيميائيات، ترجمة عبد الحميد بورايو، دار السبيل، الجزائر، ص 244.

(62)- حسين خمري: نظرية النص من بنية إلى سيميائية الدال، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت /الجزائر، 2007، ص 259.

(63) - جان ايف تاديه: النقد الأدبي في القرن العشرين، ترجمة قاسم المقداد، ط 1، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1993، ص 353.

(64) - خالد بلقاسم: أدونيس والخطاب الصوفي، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، 2000، ص 125.

(65) - Genette: seuils . p7.

(66) - رشيد يحياوي: الشعر العربي الحديث، دراسة في المنجز النص، ط 1، إفريقيا الشرق، المعرب، ص 25.

(67) - المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

(68) - المرجع نفسه: ص 23

(69) - محمد فكري الجزار: العُنوان سيميوطيقا الاتصال الأدبي، ط1، الهيئة المصرية للكتاب مصر، 1996، ص 41.

(70) - محمد عويس: العُنوان في الأدب العربي النشأة والتطور، ط1، المكتبة الأنجلوـ أمريكية، مصر، 1988، ص 9.

(71)- كمال الرياحي: الكتابة الروائية عند واسيني، قراءة في التشكيل الروائي لحارسة الظلال، ط1، منشورات كارم الشريف، تونس، 2009، ص 11.

(72) - جمال بوطيب: الاستعارة الجسدية الذات والآخر في الرواية الجزائرية أعمال واسيني الأعرج متنا، ط1، منشورات التونخي، فاس، 2008.

(73)- عبد العالي بوطيب: المسألة الأجناسية بين الكتابة والقراءة، القاهرة تبوح بأسرارها أنموذجا، ضمن كتاب الرواية المغربية وقضايا النوع، أعمال الندوة العلمية الوطنية جامعة ابن الطفيل كلية الآداب ـ القنيطرة، أفريل 2008، ص 67.

(74)- فوزي الزمرلي: شعرية الرواية العربية، ط1، مؤسسة القدموس الثقافية، سوريا، 2007- ص 19.

(75) – نبيل منصر: الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، ص1.

(76) – خالد حسين حسين: في نظرية العُنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، ط1، دار التكوين، سوريا 2007.ص 7.

(77) – أحمد يوسف: سيميائية العتبات النصية، مقاربة في خطاب الإهداء شعر اليتم في الجزائر أنموذجا، مجلة اللغة والأدب تصدر عن قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، عدد 15، دار الحكمة، الجزائر، 2001، ص 169.

(78)- المرجع نفسه، ص 169.

(79) – المرجع نفسه: ص 170.